التوجهات الجديدة في السياسة الخارجية التركية: دراسة في الجذور النظرية والفكرية

د/ عبد الحق زغدار - أ / فهيم رملي
قسم العلوم السياسية
جامعة الحاج لخضر -باتنة

ملخص:

شهدت تركيا تحولات في ديناميات السياسة الخارجية وتجلياتها، وبمجيء حزب العدالة والتنمية ظهرت مدارك وتصورات نشطة حول ما يجب على تركيا أن تفعله، وما يجب أن تستمر فيه، وما يجب أن تغيره، وكل ذلك انطلاقا من أفكار ونظريات مهندسي سياستها الخارجية، الأمر الذي بحثنا فيه وتفحصناه في هذه المقالة بدءا بوضع إطار عام للسياسة الخارجية التركية، وتاليا أهم النظريات المفسرة للتوجه التركي الجديد نحو الخارج .

Abstract:

Turkey witnessed shifts in the dynamics of foreign policy and its manifestations, and the advent of the AKP emerged perceptions and perceptions of active about what Turkey must do, and what should continue it, and what should change, and every so out of ideas and theories engineers its foreign policy, which we discussed in this article, starting with the development of a general framework of Turkish foreign policy, and, consequently, the most important theories that explain the new Turkish directed towards the outside .

مقدمة:

تشهد تركيا منذ بدايات القرن الحادي والعشرين أكثر فتراتها حضورا – على المستويين الإقليمي والدولي – خلال تاريخها المعاصر، وتثير سياستها الخارجية قدرا غير مسبوق من المتابعة لأحداث وتحولات تبعث على الإثارة والدهشة، الأمر الذي يثير بدوره الكثير من التأويلات وأحيانا التنبؤات التي تنفتح على احتمالات مستقبلية متعددة، وأصبحت بؤرة تركيز أكاديمي ومجالا بحثيّا مُهِمًّا في الدراسات السياسية الحديثة .

في سياق هذا الاهتمام، اعتُبر وصول حزب العدالة والتنمية الى الحكم في تركيا بمثابة منعرج حاسم، يحمل ملامح الاستمرارية والتغيير في نهج السياسة الخارجية التركية التقليدي القائم أساسا على مبادئ النهج الكمالي (يضُمّ مبدأ الجمهورية، الثورة الشعبية، العلمانية، القومية، النزعة الإصلاحية، والدَّولانِيّة) المعروف بتوجهاته الغربية .

إشكالية الدراسة:

مرت السياسة الخارجية التركية بمراحل متعددة، وتمتاز هذه السياسة في المرحلة الجديدة التي نعيشها -مقارنة بالمراحل السابقة – بأنها أوسع آفاقا ؛ ذلك أن السلوك الخارجي لتركيا حاليا يُظهِر مزاوجة حزب العدالة والتنمية في التوجهات بين الشرق والغرب، وانتهاج سياسة خارجية متفتحة على كل دول العالم، وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة لتجيب على تساؤل جوهري حول **طبيعة التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية وخلفياتها النظرية والفكرية ؟؟.**

الأسئلة الفرعية: تتفرع عن الإشكالية السابقة مجموعة من الأسئلة كالتالي:

-فيم تتمثل أهم التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية ؟

-ما هي الأسس النظرية التي تستند عليها التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية ؟

الفرضيات: تسعى هذه الدراسة الى اختبار مجموعة من الفرضيات مرتبة كالتالي:

-وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا أدى الى التغيير في السياسة الخارجية التركية .

-التغير في السياسة الخارجية التركية يتأثر بمدى مُدركات القيادات السياسية لحزب العدالة والتنمية، وينعكس ذلك في المنطلقات النظرية والفكرية لصوغ وتنفيذ السياسة الخارجية التركية .

أهمية الدراسة: ترجع أهمية هذه الدراسة الى اعتبارات عِلميّة وأخرى عَملية، على النحو التالي:

- **الأهمية العلمية:** إن المتصفح للدراسات وكذا الكتابات المقدمة حول السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية يلاحظ أن غالبيتها تشير الى تأثيرات توجهات السياسة الخارجية الجديدة والتي تجلّت بشكل واضح في العوالم التي تنمي إليها - كما سيأتي لاحقا - أين تمكنت تركيا من حل الأزمات الإقليمية المتعلقة بها بشكل مباشر أو غير مباشر، لكن قلّما نجد كتابات وإسهامات أكاديمية حول الجذور الفكرية والنظرية للتوجهات التركية الجديدة على المستوى الخارجي ؛ بمعنى آخر نسعى لتحليل العلاقة بين وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة وإعادة توجيه السياسة الخارجية التركية .

- **الأهمية العملية:** نهدف الى تحديد عوامل التغير والاستمرارية – التي تمت الإشارة إليها سابقا – في توجهات السياسة الخارجية التركية وتحليل محدداتها، هذا فضلا عن إبراز المنطلقات الفكرية والنظرية للقيادة السياسية وأبعادها وتصوراتها .

خطة الدراسة: سيتم تقسيم المقالة الى محورين رئيسيين ؛ **المحور الأول** سيتم فيه التعرض للإطار النظري والمفاهيمي للسياسة الخارجية بشكل عام وذلك عن طريق التطرق الى المفاهيم المقدَّمة للسياسة الخارجية وكذا التفريق بينها وبين المصطلحات المتداخلة معها، أما **المحور الثاني** فسيتم التركيز فيه على التأصيل النظري لأسس التحولات الجديدة في السياسة الخارجية التركية وذلك بالتطرق الى كل من " نظرية التحول الحضاري " وكذا نظرية " العمق الاستراتيجي " وأخيرا نظرية " العثمانية الجديدة "، وتأتي الخاتمة لتكون فيها خلاصة للمقالة وفي نفس الوقت إجابة للإشكالية المطروحة .

المحور الأول -الإطار المفاهيمي للسياسة الخارجية:

جرى التقليد المنهجي على التعريف في بداية كل بحث أو دراسة بالمفاهيم المرتبطة بالموضوع المراد دراسته، لذا سيتم في هذا المحور تسليط الضوء على الإطار المفاهيمي والنظري للسياسة الخارجية من خلال التعرض لتعريفها، وكذا التفريق بينها وبين الألفاظ المتداخلة معها ممثلة في السياسة الدولية، فالعلاقات الدولية، وأخيرا الدبلوماسية.

1 -**مفهوم السياسة الخارجية:** لا يمكن الإنكار بأن السياسة الخارجية ظاهرة معقدة، لأن التصرف في المجال الدولي يتطلب تحديد الأهداف والسلوكيات المشَكِّلة في مجملها للسياسة الخارجية، هذا التعقيد نتج عنه غياب اتفاق عن تعريف محدد للسياسة الخارجية عند علماء علم السياسة بشكل عام، وعلم العلاقات الدولية بشكل خاص، لهذا نجد تعدُّدا في التعاريف المقدمة لها وتفاوتا في نواحي التركيز فيها . إزاء ذلك نجد أن **كورت J. kurt** في كتابه الموسوم بـ " كيف تصنع السياسة الخارجية " يقدم لنا تعريفا مفاده أن " السياسة الخارجية لدولة من الدول تحدد مسلكها تجاه الدولة الأخرى، إنها برنامج، الغاية منها تحقيق أفضل الظروف الممكنة للدولة بالطرق السلمية التي لا تصل حد الحرب "[1].

إن المتمعن في هذا التعريف يدرك أن ثمة قصور تعتريه وذلك كونه يقتصر على جانب واحد وهو الطرق السلمية في السياسة الخارجية، معنى هذا أن **كورت** لا يعد القنوات القتالية أداة من أدوات السياسة الخارجية والواقع عكس ذلك والشواهد التاريخية كثيرة ليس آخرها التدخل الأمريكي في العراق عام 2003 .

في حين نجد أن **ج.روزنو J.N.Rosenau** يقدم لنا تعريفا آخر يركز فيه على السلوكيات هذه الأخيرة التي تقوم بها هيأة سلطوية عن طريق التخطيط قصد تحقيق غايات وأهداف مسطرة سلفا، ولذلك فهو يعرف السياسة الخارجية بقوله " منهج للعمل يتبعه المثلون الرسميون للمجتمع القومي بوعي من أجل إقرار أو تغيير موقف معين في النسق الدولي بشكل يتفق والأهداف المحددة سلفا "[2] .

للوهلة الأولى يبدو التعريف السابق سليما ومتكاملا لكن هذا الكلام مجانِب للصواب كون أن قضية التخطيط والعمل من أجل تحقيق أهداف مسطرة سلفا في السياسة الخارجية مسألة مثيرة للكثير من الغموض والالتباس ؛ ذلك أن البيئة الدولية تتميز بالتطور وتسارع الأحداث فيها هذا الى جانب وجود متغيرات في كثير من الأحيان تكون غير مرئية وغير معروفة لصناع السياسة الخارجية، أضف الى ذلك أن عملية التكهن بأمر ما في الواقع الدولي يُعَدّ أمرا صعبا ما بالك بالتخطيط . في الواقع إن تعريف ج. **روزنو** يتفق كثيرا مع تعريف **محمد السيد سليم** هذا الأخير الذي يُعرِّف السياسة الخارجية بأنها " برنامج العمل العلني الذي يختاره المثلون الرسميون

للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الخارجي " [3] . وهذا التعريف ينطوي على أبعاد عديدة في السياسة الخارجية مُمَثَّلة في: الواحدية، والرسمية، والعلنية، والاختيارية، والهدفية، والخارجية، والبرنامجية، فلئن كان وجود هذه الأبعاد مُهِمّا في السياسة الخارجية إلا أن تحققها يبقى أمرا صعبا .

أما **والتر ليبمان Lippmaan.Walter** في كتابه الموسوم بـ " السياسة الخارجية الأمريكية " يشير الى أهمية القائد السياسي في إدارة نشاط الدولة الخارجية من حيث تأكيده على إيجاد نوع من التوازن بين الالتزام الخارجي للدولة، والإدارة المتوفرة على مدى نقل هذا الالتزام على مستوى السلوك الخارجي، والمَقْدِرَة اللازمة في اعتقاد **ليبمان،** هو أن تكون هذه المقدرة في حالة تنفيذها أكبر بكثير مما يحتاج إليه هذا الالتزام[4].

الملاحظ حول هذا التعريف هو إهماله أو تجاهله لعامل السلوكيات والمهارات في السياسة الخارجية، وتركيزه على عامل القوة – سيما في بعدها العسكري - ويظهر ذلك من خلال دعوته لأن تكون المقدرة حال التنفيذ أكبر بكثير من حاجة الالتزام .

كما تنصرف السياسة الخارجية عند **حامد ربيع الى**" جميع صور النشاط الخارجي، حتى ولو لم تصدر عن الدولة، كحقيقة نظامية، فنشاط الجماعة كوجود حضاري، أو التعبيرات الذاتية كصور فردية، للحركة الخارجية تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع، الذي نطلق عليه اسم السياسة الخارجية " [5] .

وفي نفس السياق يُعرّف **مودلسكي** السياسة الخارجية على أنها: " نظام الأنشطة الذي تطوره المجتمعات، لتغيير سلوكات الدول الأخرى، ولِأقْلَمَةِ أنشطتها طبقا للبيئة الدولية، وفي هذا الإطار هناك نمطين من الأنشطة هما: المدخلات والمخرجات " [6] .

غير أنه لا يمكن اعتبار كل نشاط خارجي هو بالضرورة سياسة خارجية حسب ما جاء في التعريفين السابقين ؛ فإن لم يرتبط النشاط الخارجي بتحقيق الأهداف العامة للدولة فإنه لا يُصنّف ضمن السياسة الخارجية، زد على ذلك أن السياسة الخارجية لا تتضمن الأنشطة وحدها ولكنها تتضمن أيضا كل من البرامج، الأدوار، الأهداف والسياسات، فضلا عن غموض مفهوم الأنشطة في حدّ ذاته وصعوبة تحديد مُكوّناته .

إن الغموض والتناقض الذي يكتنف معظم التعاريف المقدَّمة للسياسة الخارجية يدفع المهتمين بهذا الحقل الى محاولة اعتماد تعريف يستجيب لأغراضه المنهجية والعلمية بغية إضافة لبنة جديدة لحقل السياسة الخارجية، وفي هذا السياق سنأخذ بالتعريف الذي وضعه الأستاذ الدكتور **بوقارة حسين** في مؤلفه الموسوم: " السياسة الخارجية: دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات النظرية للتحليل "، إذ يقول " السياسة الخارجية تتمثل أساسا في تلك الأفعال وردود الأفعال والموقف العلنية والضمنية التي تصف وتصيغ مجموعة من الأهداف والأولويات والإجراءات التي توجّه سلوك الدول في علاقاتها ببعضها البعض أو في علاقاتها بالفواعل الدولية الأخرى، إنطلاقا من النسق الفكري والعقائدي الذي تؤمن به " [7] .

2 -**المفاهيم المتداخلة والسياسة الخارجية:** سنقوم بدراسة المفاهيم المتداخلة والسياسة الخارجية ممثلة في كل من السياسة الدولية، العلاقات الدولية، الدبلوماسية .

أ -**السياسة الخارجية والسياسة الدولية:** إن التمييز بين السياسة الدولية والسياسة الخارجية قد يبدو واضحا في غير حاجة الى تحديد؛ فالسياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية، والسياسة الدولية في مضمونها العام تعني مجموع المبادئ المرتبطة بالنشاط الدولي[8]، أو هي كما يعرفها **حامد ربيع** بأنها " التفاعل الذي لا بد أن يحدث الصدام والتشابك المتوقع والضروري نتيجة لاحتضان الأهداف والقرارات التي تصدر من أكثر من وحدة سياسية واحدة " [9]، مما سبق نستنتج أن السياسة الخارجية ما هي إلا عنصر من عناصر السياسة الدولية .

ب -**السياسة الخارجية والعلاقات الدولية:** يُعتبَر مصطلح العلاقات الدولية حديثا من حيث النشأة، وترجع أولى بداياته كحقل معرفي أكاديمي الى النصف الثاني من القرن الماضي، وشاع كثيرا بين الأكاديميين الأوروبيين والأمريكيين، وقد تم تقديم العديد من التعاريف بخصوص مصطلح العلاقات الدولية، من ذلك تعريف **كلابلان** القائل بأن العلاقات الدولية " حقل من حقول الموضة يتمتع بها بخصوصيته واستقلاليته وهو حقل يتضمن علاقات متبادلة تجري ما بين الدولة أو الدول عبر الحدود " [10] .

وإذا ما تفحّصنا هذا التعريف سنجد أن ثمة جوانب قصور تعتريه من ذلك أن العلاقات الدولية اليوم لا تتم بين الدول وحدها فقط ذلك أن هناك فواعل أخرى كالمنظمات الدولية التي لها صفة قانونية دولية .

في حين نجد أن **محمد طه بدوي** في مؤلفه الموسوم بـ " مدخل الى علم العلاقات الدولية " يعرِّف العلاقات الدولية بأنها " علاقات بين وحدات بشرية وهي تنمي الدراسات السياسية بالذات، ذلك بأن الوحدات البشرية أطراف العلاقات الدولية هي وحدات سياسية والتي هي في عالمنا الحديث "الدول القومية " [11] .

من خلال ما تقدّم سابقا نصل للقول بأن السياسة الخارجية جزء من العلاقات الدولية، وهذه الأخيرة تتضمن تحليل السياسة الخارجية وكذا العمليات السياسة بين مجموعة الوحدات السياسية في النظام الدولي .

ج -**السياسة الخارجية والدبلوماسية**:يعَدُّ مصطلح الدبلوماسية من أكثر المصطلحات امتزاجا وعلاقة بالسياسة الخارجية؛ إذ كثيرا ما يتم استخدام الدبلوماسية بمعنى واسع تتضمن صنع وتنفيذ السياسة الخارجية، أما معناها الفني - كما جاء في تعريف **جورج كينان** – " عملية الاتصال بين الحكومات "[12]، كما يعرّفها الكاتب الروسي **تونكين** بأنها النشاط الذي يمارسه رؤساء الدول، والحكومات، وإدارة الشؤون الخارجية، والوفود والبعثات الخاصة، والممثّليات الدبلوماسية، ويحقق بوسائل سلمية أهداف وشؤون السياسة الخارجية للدولة [13] .

يتضح من خلال ما سبق أن الدبلوماسية جزء من السياسة الخارجية وأنها أداة تنفيذ لهذه الأخيرة ؛ معنى هذا أن السياسة الخارجية تمثِّل الجانب التشريعي في الدولة في حين تدخل الدبلوماسية في إطار التنفيذ .

المحور الثاني -الجذور النظرية والفكرية المفسِّرة للسياسة الخارجية التركية:

يوجب النقاش في شأن السياسة الخارجية التركية بقيادة حزب العدالة والتنمية التعرض الى رؤية **أحمد داود أوغلو** (الذي كان وزير الخارجية في السابق ورئيس الوزراء الآن) وتَتَبُّعِ نظرياته السياسية الأساسية بهدف درس الأسس النظرية للسياسة الخارجية التركية، والتي من خلالها يمكننا فهم ماهية السياسة الخارجية الأفضل بالنسبة لتركيا، وفقا لأطروحات **أوغلو** وبعض قيادات الحزب، ويتم ذلك من خلال

الخطابات السياسية أو المصادر الأولية أو الدراسات السابقة هذا فضلا عن الكتب الأساسية **لأحمد داود أوغلو** وكذا بعض مقالاته التي تم نشرها في عديد من المجلات والدوريات الأكاديمية عبر ربوع العالم، وله في هذا المجال ثلاث نظريات أساسية تعبر عن رؤيته تعبيرا ينتسب إليه انتسابا أصيلا لا تقليدا ولا ترجمة عن الدراسات الأجنبية، وهي: نظرية التحول الحضاري، ونظرية العمق الإستراتيجي، ونظرية العثمانية الجديدة .

1 -**نظرية التحول الحضاري:** بدا أن معظم قادة حزب العدالة والتنمية لا يتمتعون بالخبرة الكافية في مجال السياسة الخارجية، بما جعل تأثير **أحمد داود أوغلو** واضحا للغاية في بلورة سياسة تركيا الخارجية منذ أن بات أكبر مستشاري رئيس الوزراء للسياسة الخارجية وفيما بعد وزيرا للخارجية، وقد نجح في إقناع صانعي القرار بتبني أفكاره الخاصة بالخصائص المنشودة للسياسة الخارجية وهي إنهاء الصراعات والوصول الى حد أقصى من التعاون، ولم تبق هذه الأفكار حبيسة المستوى الرسمي للسياسة فحسب بل تم نشرها في الصحافة الوطنية والدولية، هذا الى جانب تأثيرها الكبير في الساحة العربية[14].

وكانت نظرية التحول الحضاري التي صاغها **أحمد داود أوغلو** في كتابه " العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية " من أهم النظريات التي تُثبت قناعاته الراسخة بضرورة مراعاة التوازن الدقيق بين قوة الأمر الواقع وقوة الحق الأصيل ؛ فبحسب رؤيته لواقع ومستقبل العلاقات الدولية يبرهن على أن ما يجري في العالم منذ سقوط الاتحاد السوفيتي ليس تعبيرا عن انتصار الرأسمالية -الليبرالية، ولا عن نهاية التاريخ وإنما هو تعبير عن تحول حضاري واسع المدى، وبموجب هذا التحول ينزاح - تدريجيا - المركز الحضاري الأطلسي الأمريكي، وتحاول القارة الأوروبية استرداده مرة أخرى من خلال الاتحاد الأوروبي كما تحاول آسيا المركز الباسيفيكي بناء هذا المحور الجديد بقيادة الصين والهند واليابان، كما يحاول العالم الإسلامي من خلال حركات الإحياء الإسلامي أن يبني محورا حضاريا جديدا أيضا مرتكزا على تماسك رؤيته للعالم، وفي القلب من هذه الرؤية تركيا وإيران وباكستان ومصر، وهو يعتقد أن هذه هي النواة الصلبة التي يرتكز عليها المحور الحضاري الإسلامي الصاعد، إلى جانب الموارد المادية الهائلة التي يمتلكها[15] .

ويعتبر **أوغلو** أن الخلفية التاريخية لتركيا تجعل السياسة الخارجية التركية مُهِمّة ليس للمنطقة فقط بل للعالم ؛ فعندما ننظر الى نظرية " صراع الحضارات " **لصموئيل هنتنغتون** نرى أن دولا مثل تركيا يمكن أن تدحض افتراضات هذه النظرية كونها تملك تاريخا كبيرا من الانسجام بين مختلف الثقافات، كما أنها همزة وصل بين عوالم ثلاثة هي العالم الغربي والعالم الأرثوذوكسي والعالم الإسلامي، وهي ذات صلة ثقافية بها جميعا، يتضح ذلك من ناحية أخرى من كونها عضوا في الحف الشمال الأطلسي، وبلدا مسلما، ولديها تراث العثمانية التي جمعت الثقافات السياسية تحت مظلة كيان سياسي واحد، ولعل ذلك ما دفع تركيا – بالتنسيق مع إسبانيا – الى إطلاق مبادرة " تحالف الحضارات " التي حددت أهدافها " بالمساعدة على مواجهة قوى الاستقطاب والتقسيم والتطرف "[16] .

وطبقا لنظرية التحول الحضاري **لأحمد داود أوغلو** فإن المرحلة الراهنة من تاريخ العلاقات الدولية تشهد منازعة بين أكثر من مركز أو محور حضاري – كما تمت الإشارة إليه - باتجاه نظام عالمي جديد وهو يؤكد حضور العالم الإسلامي في خضم هذه المنازعة، ويرسم مسارا من أربع مراحل قطع منها المحور الإسلامي ثلاثا ودخل في الرابعة ؛ **أولاها** مرحلة الخضوع للنزعة الاستعمارية، **وثانيتها** مرحلة تحديد الهوية بعد سقوط الخلافة العثمانية إلي قيام ثورات التحرر من الاستعمار، **وثالثتها** مرحلة نشأة دولة ما بعد الاستعمار وسيطرة النخب المتغربة عليها، **ورابعتها** يسميها مرحلة تجدد الإدراك الذاتي الإسلامي وتخلصه تدريجيا من عقدة الدونية التي سيطرت على الذهنية المسلمة إبان الحقبة الاستعمارية، ويضرب مثالا على ذلك بخروج تركيا في عهد الرئيس **تورجت أوزال** منذ منتصف الثمانينيات من سياسة الانكفاء على الذات، والعزلة عن محيطها الإستراتيجي الإسلامي ، والقبول المتنامي لهذا التوجه في السياسة الداخلية التركية وعندما يصل إلي هذه النقطة نجده يمسك بأول خيط ينسج به نظريته الكبرى الثانية وهي **نظرية العمق الاستراتيجي**[17]، التي سنتطرق لها في النقطة الموالية .

2 -**نظرية العمق الاستراتيجي:** شهدت السياسة الدولية تغيرات واسعة على أكثر من صعيد، وبخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، الأمر الذي وضع تركيا أمام عالم جديد مختلف بدرجة كبيرة عما كان عليه من قبل، سيما مع توجه الولايات المتحدة

الأمريكية لمتابعة قضاياها بكيفية مباشرة، وقيامها بالحرب على ما يسمى " الإرهاب "، هذه البيئة كانت مواتية لتركيا من أجل الدخول في تفاعلات أمنية وإستراتيجية وسياسية في مختلف المناطق والأقاليم التي تُتَاخِمها أو تشارِك فيها، أما على المستوى الداخلي فقد عرفت تركيا فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية في نوفمبر 2002 وفوزه الثاني في جوان 2007 وما صاحبه من تغيير في منظومة السياسة الخارجية للدولة بقيادة **أحمد داود أوغلو** هذا الأخير الذي وضع إطارا نظريا ومعرفيا للسياسة الخارجية التركية اتسم بالحركية والجاذبية[18] تحت مُسمَّى " العمق الاستراتيجي " ؛ وتعني -بحسب صاحبها **أحمد داود أوغلو** الذي خصص لها كتابا يحمل عنوان " العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية " – أن تركيا يجب أن تقف على مسافة واحدة من كل الدول، وكل الفاعلين، وتتجنب الدخول في التحالفات أو المحاور الإقليمية، بما يجعلها تبقى دائما على مسافة واحدة من كل الأطراف، بما يساهم في طمأنة قلق الفاعلين الإقليميين والدوليين إزاء السياسات التركية، وعبّر عنها **أوغلو** بقوله " فإن المسافة التي تفصل تركيا عن الدول الأخرى ستبقى كما هي، ورغم ذلك فهناك إدراك جديد للجذور التاريخية والثقافية لتركيا نسبة الى محيطها بما يشيد تصورا جغرافيا جديدا، فهذه المسافة الفعلية والمشكلات السابقة التي أعاقت اندماج تركيا في هذه المناطق لم يعد لها معنى بالنسبة الى صنع السياسة الخارجية " [19] .

استنادا الى الكلام السابق ليس من قبيل المبالغة القول بأن تركيا قد استطاعت بسرعة وبمرونة سياسية لافتة أن تعيد صياغة أدوارها الإقليمية في عالم ما بعد سبتمبر 2001 لتصبح همزة وصل بين العوالم الثلاثة السابقة الذكر[20]، وشرعت مع بداية العقد الحالي في تطوير رؤيتها وسياستها على نحو يتواكب مع المستجدات في القرن الحادي والعشرين، وبذلت جهدها لإرساء هذه الرؤية على أرضية صلبة، توظِّف فيها موروثاتها التاريخية والجغرافية التوظيف الأمثل [21]، وبالتالي يتعين على تركيا الالتزام بمبادئ جد مهمة حتى يتسنى لها تطبيق سياسة خارجية إيجابية وفعّالة، وهذه المبادئ كما يلي:

-**التوفيق بين الحريات والأمن:** ففي وقت كان اللاعبون العالميون وأولهم الولايات المتحدة الأمريكية يغلبون الاعتبارات الأمنية على ما عداها بعد 11 سبتمبر 2001

كانت تركيا البلد الوحيد الذي نجح في التقدم على صعيد الإصلاح السياسي من دون التفريط بالمتطلبات الأمنية، سيما ما تعلق بمطالب الأقليات الكردية والعلوية وهو ما جعل تركيا نموذجا لبلدان أخرى[22]، وهي (التوفيق بين الحريات والأمن) المقاربة التي حاولت القيادة التركية توظيفها لتبرير موقفها " المتعرج " من الثورات والاحتجاجات الشعبية التي شهدتها عدد من الدول العربية حديثا، حيث رأت أنه يجب ألا تتحقق الحرية على حساب الأمن، بل أن تتحقق الغايتان معا بالتوازي[23].

-**محاولة حل المشكلات العالقة مع الجيران " سياسة تصفير المشكلات "**: هذه السياسة من شأنها إخراج تركيا من صورة البلد المحاط بالمشكلات، والدخول في صورة البلد ذي العلاقات الجيدة مع الجميع، وهذا إن تحقق فسيمنح السياسة الخارجية التركية قدرة استثنائية على المناورة [24]، وتجسد ذلك في عقد عدة لقاءات بين أطراف الصراع في مناطق عديدة من العالم ومثال ذلك الاجتماع التشاوري لدول الجوار العراقي قبيل الغزو الأمريكي عام 2003، وكذا استضافة المفاوضات الغير مباشرة بين سوريا وإسرائيل على مدى أربع جولات، ووساطتها في المفاوضات بين أفغانستان وباكستان وبين جورجيا وروسيا، وسعيها لإنهاء الانقسام الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس في ماي 2011[25].

-**إتباع سياسة خارجية متعددة الأبعاد والمسالك**: ففي الظروف الدولية المتحركة الحالية من غير الممكن إتباع سياسة ذات بُعْد واحد وبدلا من أن تكون تركيا مصدرا للمشاكل تكون على العكس بلدا لحل المشاكل وبلدا مبادرا لطرح الحلول، ومن هذا المنظور لا يجب النظر الى أي خيار على أنه بديل عن الآخر ولا التعاطي مع كل الخيارات في الوقت نفسه على أنه تناقض[26].

-**أسلوب دبلوماسي جديد**: وإعادة تعريف دور تركيا على الساحة الدولية ؛ فلقد كان التعريف السائد في المرحلة الماضية أن تركيا " **بلد جسر**" تصل بين طرفين، أما في المرحلة الجديدة على تركيا أن تكون " **بلد مركز** "، ويتجلى ذلك من خلال المبادرات الفعالة في جميع الفعاليات الإقليمية والدولية .

-: **الدبلوماسية المتناغمة**: ومن ثم العمل من أجل الانتقال من السياسة الجامدة والكمون الدبلوماسي الى الحركة الدائمة والتواصل مع كل بلدان العالم، ونجد

تطبيقات هذا المبدأ من خلال أدائها في العديد من المنظمات التي هي عضو فيها وكذا استضافتها للمؤتمرات والقمم الدولية هذا الى جانب مشاركتها في القمم القارية والإقليمية بل وحتى الدولية[27].

وقد عكست تطبيقات هذه الآليات في مجال السياسة الخارجية لتركيا تقديرا للرؤية الثاقبة **لأحمد داود أوغلو** وهي واقعية الإدراك الجديد في التعاطي مع القضايا الخلافية في الأقاليم المتاخمة لتركيا حيث إفتكّت الرؤية الجديدة تقدير عدد من الأطراف المعنية بالمساعي التركية نذكر منها العراق وسوريا وإيران وروسيا وجورجيا وأرمينيا[28].

3 -**نظرية العثمانية الجديدة:** هذه النظرية (وإن لم يسمّها **أحمد داود** بهذا الاسم في كتبه) هي الأكثر إثارة للجدل على المستوى الداخلي؛ لأنّها تقع في صميم معركة بين الحداثة والتقليد، أو الأصالة والتغريب، أو الإسلام والعلمانية، وهي المعركة التي تخوضها تركيا على أكثر من صعيد منذ ما قبل تأسيس الجمهورية وإلغاء الخلافة سنة 1924.

والحقيقة أن مفهوم (العثمانية الجديدة) ظهر في منتصف الثمانينيات قبل **أردوغان وأوغلو** في فترة الرئيس **تورجوت أوزال** لوصف سياسته التجديدية، وإفساحه المجال لنموّ التيار الإسلامي بدرجة ملحوظة. ويرى أنصار هذا التيار ومنهم **أحمد داود** أن السبب في تراجع تركيا خلال الحقبة الماضية يعود الى سياسة القطيعة مع ماضي تركيا العثمانية وعمقها الاستراتيجي عن حاضر الجمهورية الكمالية ومحيطها الإقليمي، والتي عمقت أيضًا الانقسام بين العلمانية والإسلامية، وغلبت الأمن على الحرية، وأحدثت أزمة هوية في أوساط النخب التركية، وخاصة بعد أن تبين فشل العسكر في فرض هوية جديدة بالقوة على المجتمع من أعلى هرم السلطة التي أمسكوا بها[29].

غير أن هناك من يقول أن **جانكيز شاندرا** (المعلق السياسي التركي) هو أول من استعمل مصطلح العثمانية الحديثة (الجديدة)، وأن مردَّ هذا التوجه عائد الى فشل التوجهات العلمانية الطورانية في تسوية مسائل السياسة الخارجية مع الغرب، كالمسألة القبرصية، والتسويف في مسألة انضمامها للإتحاد الأوروبي، والخلاف حول

الدعم الغربي لحزب العمال الكردستاني، ولذلك كان لزاما على تركيا أن توجه سياستها الخارجية للبحث عن فضاء استراتيجي جديد يتّسم بالعالمية من خلال الشراكة الإستراتيجية مع أفريقيا لمنافسة فرنسا الرافضة لانضمام تركيا للإتحاد الأوروبي، ومن خلال الإتجاه نحو العالم الإسلامي موظّفة العامل التاريخي والديني، ونحو الدول والأقليات التركية في القارة الآسيوية مستعملة في ذلك العامل اللغوي، وأخيرا البحث في الشراكة الإستراتيجية بينها وبين الصين[30].

وتركيا في **ظل** حكم حزب العدالة والتنمية - من منظور العثمانية الجديدة – لا تسعى لبعث الإمبراطورية العثمانية، بل تسعى الى استعراض القوة اللينة لتركيا كجسر بين الشرق والغرب، وكأمة إسلامية، ودولة علمانية، ونظام سياسي ديمقراطي، وكقوة اقتصادية رأسمالية، كما تسعى العثمانية الجديدة أيضا الى تحقيق العظمة والنفوذ التركيين عبر السياسة الخارجية التركية .

وتُجسّدُ هذه الرؤية التحولات الحاصلة في مدركات النخبة التركية، فتلك الموالية للغرب – التي أدارت السياسة الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية – قد حلّت محلّها نخبة أكثر تديُّنا ومحافظة ووطنية، غير أنها تتّسم بعدم الثقة المطلقة تجاه الغرب كما أنها تسيطر عليها نزعة إيجابية إزاء الماضي العثماني لتركيا ؛ فحزب العدالة والتنمية نجح في الاعتماد على الوعي القومي المتصاعد ودمجه بالإسلام التركي في كلٍّ واحد متماسك[31].

خاتمة:

نخلص في الأخير الى أن دراسة السياسية الخارجية التركية بتوجهاتها الجديدة تمثل مدخلا للنظر في توجه تركيا نحو العالم من جهة، ومن جهة أخرى تمثل فرصة لإحلال الصورة الواقعية محل الذاكرة التاريخية، ومن جهة ثالثة تمثل فرصة للنظر في منطلقات السياسة الخارجية التركية الجديدة، هذه الأخيرة التي غيّرت مجرى العلاقات الخارجية لتركيا بفضل السياسات المتبعة من قبل حكومة حزب العدالة والتنمية، فكانت النتيجة إيجابية في مجملها على عكس الفترات السابقة التي شهدت فيها السياسة الخارجية لتركيا ركودا من جهة، وتذبذبا من جهة أخرى، ناهيك عن عدم استنادها لأي أساس فكري أو نظري عدا مبادئ النهج الكمالي والتي أُسيء

توظيفها -من قبل العسكر -لعقود عدة جعلت تركيا بعيدة جدا عن مستوى طموحاتها كدولة مركز وكقوة مؤثرة .

الهوامش:

[1] -أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية، عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2009، ص 19 .

[2] -سليم محمد السيد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة: مكتبة النهضة، ط2، 1998، ص 15 .

[3] -تامر كمال الخزرجي، العلاقات السياسية الدولية وإستراتيجية إدارة الأزمات، عمان: دار مجدلاوي، ط1، 2005، ص 19 .

[4]- Lippmaan Walter , United States Foreign Policy , boston , 1993 , p9.

[5] -حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، (د . س . ط)، ص 7

[6] -محمد السيد، مرجع سابق، ص 8 .

[7] -حسين بوقاره، السياسة الخارجية: دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات النظرية للتحليل، الجزائر: دار هومة، 2012، ص 19 .

[8] -النعيمي، مرجع سابق، ص 33 .

[9]- نفس المرجع، ص 28 .

[10]- كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، فرنسا: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1979، ص 6.

[11]- محمد طه بدوي، مدخل الى علم العلاقات الدولية: دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص17 .

[12]- النعيمي، مرجع سابق، ص 46 .

[13]- نفس المرجع، ص ص 44 -45 .

[14]- محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، في: سمير العطية وآخرون، العرب وتركيا: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، ماي 2012، ص 575 .

[15] -غانم إبراهيم البيومي، " وزير الخارجية التركي الجديد ونظرية التحول الحضاري "، (2014/08/18)، نقلا عن:

http: //www.ahram.org.eg/Archive/2009/5/13/OPIN6.HTM

[16]- محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، ص 576

[17]- إبراهيم البيومي، "وزير الخارجية التركي الجديد ونظرية التحول الحضاري "، مرجع سابق .

[18] -محفوظ عقيل سعيد، السياسة الخارجية: الاستمرارية – التغيير، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، يونيو 2012، ص ص 55 -56 .

[19]-Bülent Aras , « The Davutoğlu era in Turkish foreign policy », Insight Turkey, vol .11, no.3, (2009) , pp 127-142.

[20] - فؤاد السعيد، " الجوهر الثقافي لنظرية العمق الاستراتيجي "، شرق نامة، عدد خاص، ص 54 .

[21] -أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط2، 2011، ص 612.

[22] -محمد نور الدين، السياسة الخارجية ..أسس ومرتكزات، في: محمد عبد العاطي (محررا)، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط1، 2010، ص 138 .

[23] -محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، مرجع سابق، ص 579 .

[24] داود أوغلو، مرجع سابق، ص ص 612 - 613 .

[25] -محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، مرجع سابق، ص 580 .

[26] -محمد نور الدين، السياسة الخارجية ..أسس ومرتكزات، مرجع سابق، ص 138 .

[27] -داود أوغلو، مرجع سابق، ص - ص 614 -615 -616 .

[28] - عبد الله راقدي، " سياسة تركيا الخارجية حيال الشرق الأوسط: بين التجاذبات المصلحية والمعيارية في فترة حكومة حزب العدالة والتنمية "، دراسات إستراتيجية، العدد 13، ديسمبر 2010، ص 130 .

[29] -نوفل ميشال، عودة تركيا الى الشرق: الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، 2010، ص– ص 83 -84 -85 .

[30] -علي لكحل، " السياسة الخارجية التركية الشرق أوسطية: الحالة الفلسطينية في مرحلة حكم حماس "، دراسات إستراتيجية، العدد 13، ديسمبر 2010، ص 106 .

[31] -محمد عبد القادر، تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية، مرجع سابق، ص ص583 -584.